

(1)

النظافة سلوك إنساني متحضر

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ } ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، القائل في حديثه الشريف : { إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ } ، اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ عَلَي سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمَنْ اهْتَدَى بِهِدْيِهِ وَسَلَكَ طَرِيقَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أما بعد :

فَلَقَدْ اهْتَمَّ الْإِسْلَامُ إِهْتِمَامًا بِالْعَايِبِ الْإِنْسَانِ وَرِعَايَتِهِ فِي كُلِّ الْمَجَالَاتِ ، صِحِّيًّا ، وَنَفْسِيًّا ، وَسُلُوكِيًّا ، وَمِنْ مَظَاهِرِ هَذَا الْإِهْتِمَامِ أَنْ حَثَّ عَلَى النَّظَافَةِ وَأَمَرَ بِهَا ، بَلْ جَعَلَهَا ضَرُورَةً شَرْعِيَّةً لِحِمَايَةِ الْإِنْسَانِ وَوَقَايَتِهِ مِنَ الْأَمْرَاضِ ، قَالَ تَعَالَى : { وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا } . هذا الماء الطهور هو نظافة للأبدان وسلامة لها .

ولا شك أن النظافة سلوك إسلامي إنساني متحضر يعكس رقي الأفراد وحصارة المجتمعات والأمم والشعوب ، فالمجتمع المتحضر هو الذي تتحول فيه ظاهرة النظافة إلى سلوك عملي ، بحيث يكون كل إنسان نظيفاً في جسده ، نظيفاً في مطعمه ، نظيفاً في ملبسه ،

(٢)

نظيفاً في مسكنه ، نظيفاً في مكتبه وعمله ، حريصاً على نظافة بيئته التي يعيش فيها ، والطريق الذي يسلكه ، والحدائق والمنتديات العامة التي يتردد عليها هو أو غيره ، فقد أخبر الحق سبحانه وتعالى أن النظافة سبب لمحبتة، فقال: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} .

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بالنظافة أن جعل الطهارة نصف الإيمان، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ). فالنظافة سلوك إنساني متحضر ، بل هي عنوان الحضارة الراقية التي تدعو إلى الأناقة والجمال ، والبعد عن كل ما يؤدي وبُغْرٌ ، ولا يُقرُّه الذوق ولا الطبع السليم ، لذلك امتدح الحق سبحانه وتعالى أهل مسجد قباء لحرصهم على الطهارة والنظافة ، فقال سبحانه : {لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ} ، وأمرنا سبحانه أن نأخذ زينتنا عند كل مسجد ، فقال عز وجل : {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} .

لقد جعل الإسلام النظافة ظاهرة إيمانية ، يُثاب فاعليها وبائمه تاركها ، حيث أرسى مجموعة من المبادئ التي تحث الفرد على

(٣)

الطهارة والنظافة ، فشرع الوضوء للصلاة ، وأوجب الغسل من الجنابة، وأمرنا أن نطهر وننظف أجسادنا وثيابنا ، فقال سبحانه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا } ، وقال (سبحانه وتعالى) مخاطباً نبيه (صلى الله عليه وسلم): { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ } .

ونبينا (صلى الله عليه وسلم) حين رأى رجلاً شعثاً قد تفرق شعره، قال: (أما كان هذا يجد ما يسكن به شعره؟)، وحين رأى رجلاً آخر عليه ثيابٌ وسيخة قال: (أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه؟). فلا ينبغي للمسلم أن يكون رث الثياب أشعث أغبر ، فالله (عز وجل) جميل يحب الجمال، حننا على الجمال والتحلي به ، فعندما قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ) ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ تَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً) ، قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ).

فالإسلام دين قائم على النظافة والطهارة ، جعل الطهارة والنظافة الكاملة للجسد والثوب والمكان شرطاً لقبول أهم عبادته في

(٤)

حياة المسلم وهي الصلاة ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبَلُ صَلَاةَ بَعِيرٍ طُهُورٍ ، وَلَا صَدَقَةَ مِنْ غُلُولٍ) ، بل أبعُد من ذلك فَإِنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قد أكَّدَ في حديثه الصَّحِيحِ أَنَّ عَدَمَ الطَّهَارَةِ مِنَ الْبَوْلِ وَحُسْنَ الْإِسْتِبْرَاءِ مِنْهُ كَانَ سَبَبًا لِعَذَابِ رَجُلٍ فِي قَبْرِهِ ، وَذَلِكَ حِينَمَا مَرَّ (صلى الله عليه وسلم) بِقَبْرَيْنِ ، فَقَالَ : (إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَبِرِيُّ مِنْ بَوْلِهِ).

فالنظافة عنوانٌ للمُسلِمِ ، في بدنه وثوبه وطيب رائحته ، وَمَنْ يُعَدُّ الاغتسالات الواجبة والمسئونة يُدْرِكُ مَدَى عناية الإسلام بالنظافة ، بل أبعُد من هذا ، فقد حَثَّ الإسلامُ على طهارة الفم من الرائحة الكريهة ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرِهِمْ بِالسَّوَالِكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى ، وعلى

آله وصحبه ومن اهتدى ، أما بعد:

فمن صور النظافة في الإسلام - أيضاً- : نظافة الطريق والأماكن

(٥)

العامة من كل دنسٍ أو أذى ، وهذا هو السلوك الحضاري الذي نادى به الإسلام قبل أن تنادي به المنظمات والهيئات المجتمعية ، فقد جعل الإسلام العمل على نظافة الطرقات ورفع الأذى عنها وعدم طرحه فيها شعبة من شعب الإيمان ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق).

كما نهى ديننا الحنيف عن كل ما يعكر على الناس صفو حياتهم ، أو يسبب لهم الأذى والاشمزاز ، فنهى عن قضاء الحاجة في الظل ، أو في طريق الناس ، أو في الأماكن العامة ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (اتقوا الأعين) ، قالوا : وما الأعنان يا رسول الله ؟ قال : (الذي يتخلى في طريق الناس وفي ظلهم).

وفي كل ذلك ما يؤكد أن حضارتنا تدعو إلى أكمل وأجمل مظاهر النظافة والطهارة والجمال ، وتنهى عن كل ألوان البجاسة والقبح والأذى ، مما يتطلب منا أن نلتفت بقوة إلى أهمية النظافة في حياتنا ، وأن نحافظ على موارد مياهننا سواء أكانت نهراً ، أم بحراً ، أم بئراً ، أم أي مصدر آخر من مصادر المياه ، حتى لا نُؤذي أنفسنا أو غيرنا ، فإن لم نقم بالإسهام في نظافة بيئتنا ومجتمعنا

(٦)

وَمُحِيطِنَا، فعلى أقلِّ تقديرٍ يجب أن لا نكونَ سببًا في أذى الناسِ
وأذى أنفسنا ، بإلقاء الفضلاتِ أو المخلّفاتِ في الطُّرُقِ أو الأماكنِ
العامّةِ ، فديننا دينُ النّظافةِ ، دينُ الطّهارةِ ، دينُ الجمالِ .

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل واقِعنا يتّسقُ مع تعاليمِ ديننا؟
وإن كُنّا قد فهمنا ديننا فهمًا صحيحًا فلماذا لم يتحوّل في حياتنا إلى
سُلوِكٍ عمليٍّ؟

الإجابة بوضوحٍ شديدٍ: أن هناك فرقًا واسعًا بين من يتمسكُ من
الدين فقط بشكله ومظهره ، وبين من يطبّقُ لُبّه وجوهره .

فعلى كلِّ منّا أن يعملَ على نظافةِ جسده ، وتوابعه ، ومكانه ،
ومدرسته ، ومكانِ عمله ، وأن يُسهمَ قدرَ استطاعتهِ في نظافةِ مجتمعه ،
حتى نكونَ مجتمعًا راقياً نظيفًا متحصّرًا ، يُترجمُ إيمانهُ بدينه وقيمتهِ
إلى سُلوِكٍ عمليٍّ وحياتيٍّ وواقعيٍّ .

وأن يبدأ كلُّ واحدٍ منّا بنفسه ، وليكن شعارنا : " معًا لمُجتمعٍ
نظيفٍ متحصّرٍ " .

نَسألُ اللهَ العليَّ العظيمَ أن يرزُقنا الهدى والتقى والعفافَ والغنى ،
وأن يُطهّرَ قلوبنا من النفاقِ ، وأعمالنا من الرياءِ ، وألسنتنا من الكذبِ ،
وأعيننا من الخيانةِ .